

# أثر الفلسفة اليونانية في التنظير الأدبي عند العرب (دراسة مقارنة)

د . ثريا عبد الوهاب العباسي (\*)

## التنوع المعرفي ومفهوم التأثير والتأثير:

إن الزمن الذي نتسج فيه أفق العلاقات الإنسانية، وتتزاوج فيه الثقافات والحضارات نتيجة التواصل الإنساني، لا يمكن للمرء أن يعيش فيه بمعزل عن الثقافة الكونية التي تشعبت خيوطها ونسجت نسيج المعرفة. و التبادل الفكري و الثقافي بين الأمم المتحضرة والناشئة، ينتج عنه تقارب في الفكر الإنساني، و هذا التقارب لا يتحقق إلا بالخروج من بيئة منغلقة تعيق حركية التعامل مع معطيات التطور إلى بيئة زاخرة بالحراك العلمي والمعرفي وتعدد أوجه المعرفة. ذلك أن التنوع الثقافي والحضاري مكتسب تحقق به الأمم تقدمها الفكري والحياتي، عبر الانفتاح على حضارات أخرى لها سبق في ركب التقدم العلمي والمعرفي، والاستفادة من علومها ومعارفها، شريطة عدم الانسلاخ من الثوابت المتمثلة في العقيدة والثقافة الموروثة، والمجسدة لهوية الأمة، وبذلك تتساوى قيمة الموروث والمكتسب المعتدل.

إن فعل التأثير الناتج من قبول التعددية والتنوع الثقافي عبر التواصل مع حضارات مختلفة، بعقلانية واعتدال، ومن خلال حراك هادف ومعتدل، يتجسد في الاستفادة من التجارب المعرفية للمجتمعات المتقدمة، و من ثمّ التعايش الواعي مع المتغيرات الفكرية والحياتية، وتبادل الأفكار بإيجابية و وفق منهج منزن ومرن، يحقق

---

(\*) أستاذ الأدب المقارن المساعد ؛ بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الانسانية. جامعة الملك عبدالعزيز - جدة المملكة العربية السعودية.

النفع. <sup>(١)</sup> وظاهرة التأثير والتأثير، تجسد مفهوم الانفتاح، في أوجه عديدة، ذلك أن الإنسان بطبيعته جُبِلَ على حب التقليد والميل إلى محاكاة المختلف سواء كانت أفكاراً أو أشياء أو أفعالاً، فيستثمرها حسب حاجته. لذلك وُظِّفَت هذه الظاهرة في منهجية الدراسات المقارنة، لرصد انتقال الثقافات، و تبادل الأفكار بين الشعوب، و تسجيل أوجه التشابه والاختلاف الناتجة عن فعل التأثير والتأثير، والأدب بصفة عامة والشعر على وجه الخصوص يجسد انتقال الثقافات وتبادل الأفكار، ويسجل ما بينها من تشابه أو اختلاف.

يلقي البحث الضوء على انفتاح الفلاسفة المسلمين على الحضارة اليونانية، وتأثرهم المعتدل بالفكر اليوناني ممثلاً في نظرية الذرة ونظرية المحاكاة لأرسطو. مع الإشارة إلى مفهوم الانفتاح المعتدل في تناول ظاهرة التأثير بالفكر الفلسفي اليوناني عند الفلاسفة المسلمين. المنهج المتبع في الدراسة، التحليلي المقارن.

### الفكر العربي بين الانفتاح و الموروث

السؤال الذي يمكن أن يُطرح؛ هو هل الانفتاح على الثقافات الأخرى واستقطابها يُشكّل خطورة على الموروث الحضاري بتأثير سلبي؟ أم أن له تأثير إيجابي إذا ما حصل باعتدال يحقق المنفعة؟ الإجابة على هذا السؤال تكمن في ما سجله التاريخ الإنساني منذ قديم الأزمنة، من أن فعل الانفتاح ينتج عنه تلاقح بين الشعوب المختلفة في الموروث الفكري والحضاري، مما يترك أثراً على الآداب،

---

(١) وفق نظرية الفعل ورد الفعل، يثبت أن مفهوم التواصل مع الآخر؛ ينتج عنه فعل آخر يكمن في إحداث تطوير و تغير من الواقع الذي سبق الفعل إلى واقع مختلف حسب طبيعة الفعل، مثال على ذلك؛ عندما تحدث ظاهرة كونية، كالزلازل أو البراكين، ينتج عنها تغير على وجه البسيطة. والفعل ودر الفعل قانون فيزيائي ينتج عن الحركة كقوة مؤثرة، تحدث تغييراً في الشيء أو الجسم. " ويُقال إن الجسم متسارع إذا كانت سرعته متغيرة مع الزمن، و قد يكون هذا التغير بالنقصان في السرعة، و قد يكون بالزيادة فيها. وصياغته أن لكل فعل رد فعل مساوٍ له المقدار ومضاد له في الاتجاه" أنظر كتاب الفيزياء للأدباء، خضر محمد عبد الرحمن الشيباني، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ط١، ص ٨٠ )

ويؤكد التاريخ الأدبي أن الانفتاح على الثقافات الأخرى والتأثر بها بل ومحاكاتها لم يتناقض مع الثوابت ولا يشكل خطورة على الأصول الفكرية والموروث الثقافي، بل إن الانفتاح يُعتبر أحد أهم العوامل التي تساعد الإنسان على اجتياز حدود الانطواء على الذات والتفوق الذي لا يحقق التفاعل مع متغيرات العصر من حيث فهم وممارسة المستجدات. ولا شك أن الانفتاح الفكري والتوسع المعرفي بقدر ما يسهم في فتح علاقة مفيدة مع الآخر، يعمل كذلك على إعادة صوغ علاقة الإنسان بذاته وبتراثه، وذلك من خلال إضافات جديدة تستبطن مفاهيم الشراكة والتبادل الفكري وظهور بعض المستجدات في النتاج الفكري والأدبي على السواء، وتحقيق بذلك القناعة التامة بأن التعددية الفكرية المعتدلة هي من استراتيجيات وآليات التحويل إلى واقع أفضل.

إذ لا شك أن علاقة الإنسان بوجوده هي في أساسها علاقة فكر ومشاعر تتجلى في التعامل العقلاني في التواصل مع الآخر والتعبير بالكلمة عن ذلك التواصل، إضافة إلى كيفية تعامله مع الأشياء والأحداث، مع المكان والزمان، مع كل المعطيات الحياتية بما يحقق له الاندماج والتفاعل مع المتغيرات ليحتل موقعه في خارطة التقدم الحضاري. (١) ذلك أن بنية الوعي الإنساني تختلف في كثير من الأوجه الفكرية

---

(١) يسجل التاريخ كيف أن ثقافات الشعوب تنمو وتزدهر بالاقتراب والمحاكاة، وهذا شيء ولا شك أن جميع الشعوب لها حضارتها العريقة، إلا أنها لم تقف جامدة ومتوقفة، بل تفاعلت مع المتغيرات التي تتطلبها الحياة فنقلت وحاكت، ثم أتت بما هو مبتكر مناسب لواقعها وثقافتها، واستطاعت أن تزوج بين حضارتها القديمة وابتكاراتها التي استقتها من الحضارات الأخرى، فحققت التآلف بين ما مختلف من الفكر الآخر. وأقدم مثال على ذلك الأثر الذي تركه الإغريق على الرومان نتيجة اللقاء الروم بالإغريق في الحروب التي حدثت بينهما، حين غزا الروم الإغريق، وانهزم الإغريق أمام الروم في عام ١٤٦ ق. م لكنهم ما لبثوا أن أصبحوا مهيمنين بفكرهم وفلسفتهم وآدابهم على الفكر الروماني، بسبب محاكاة الرومانيين للفكر والأدب الإغريقي. فما لبث اليونانيون أن جعلوا الرومانيين تابعين لهم ثقافياً وأدبياً. ذلك لأن الإغريق اشتهروا بالعلم والمعرفة والفلسفة، فاستطاعوا أن يبنوا لأنفسهم حضارة عريقة يقول د/ غنيمي هلال: "وكثيراً ما يردد مؤرخو الفكر الإنساني أن روما مدينة لليونان في فلسفتها وفنّها ونزعتها=

والحياتية بسبب اختلافات تكمن في الواقع الحياتي الذي تشكله العادات والفلسفات، وكذلك المناخ الجغرافي؛ المكان والزمان، إضافة إلى المتغيرات التي تطرأ على المجتمع الإنساني مع مرور التاريخ نتيجة مؤثرات خارجية من أحداث ووقائع سواء كانت طبيعية أو مفتعلة من قبل العقل الإنساني، هي المحرك الديناميكي لهذه الأحداث والمتغيرات في العالم. "ولمّا كان العقل موجّهاً نحو الطبيعة، فإنه [حين] يتعامل مع العالم الخارجي، يدركه في ثباته. وإن أدركه في حركته فإن قوانين الحركة هي نفسها قوانين ثابتة. أقرب إلى الميكانيكا منها إلى الديناميكا. لا يستطيع العقل الدخول إلى الباطن، باطن النفس أو حقائق الأشياء. لا يستطيع أن يحركها أو يغيرها وإلاّ فلتت منه. لذلك كان أفضل موضوع لديه هو الهندسة، الكم المتصل، أو الحساب، الكم المنفصل. ... ولمّا كان العقل يتعامل مع العالم الخارجي الثابت الذي يتحرك ألياً فقد فقد العالم حرارته. لذلك يتعامل العقل معه ببرود سمّي الموضوعية والحياد حتّى يستطيع اكتشاف قوانينه المطردة دون ما تدخل العواطف والانفعالات..." (حنفي، ٤٤٩، ٢٠٠٠ - ٤٥٠) و الموروث الحضاري قضية لها أهميتها لدى الشعوب، والحفاظ عليها لا يتعارض مع الانفتاح، والانفتاح على الحضارات المختلفة يحقق

---

= الإنسانية وأدبها كلّهُ. وفي هذا كلّهُ كانت محاكاة الرومانيين لأدباء اليونان وكتبهم وفلاسفتهم ملحوظة من مؤرّخي الأدب والفكر، بل مؤرّخي الرومان أنفسهم. فالشاعر عليه أن يحاكي العباقرة الذين هم بدورهم قد حاكوا الطبيعة. يقول الناقد الروماني هوراس *Horace* (٨٥ - ٨ ق م) " اتّبِعُوا أمثلة الإغريق، واعكفوا على دراستها ليلاً، واعكفوا على دراستها نهاراً" ( انظر غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص ٢١ ) والناقد الروماني كانتيليان (Qaintilian) كان له توجه مماثل للناقد هوراس، في حث الشعراء الرومانيين محاكاة اليونانيين، إلّا أنه وضع قواعد للمحاكاة، و طالب الشعراء أن يتبعوها لكي ينهلوا من حضارة اليونان الفكرية والأدبية استناداً إلى ثوابت تحفظ لهم هويتهم وتجدد فلسفتهم في الوقت ذاته؛ أولها: أن المحاكاة مبدأ من مبادئ الفن، ثانياً: أن المحاكاة تتطلب مواهب خاصّة في الكاتب المحاكي، ثالثاً: يجب أن لا تكون المحاكاة للكلمات والعبارات بقدر ما هي لجوهر موضوع الأدب ومنهجه؛ رابعاً: أن على من يحاكي اختيار النماذج الجيدة، وأن تتوفر لديه قوّة الحكم ليميز الجيد والرديء، أخيراً يري كانتيليان أنه يجب أن لا تعوق المحاكاة ابتكار الشاعر وألاّ تحول دون أصالته. (أنظر: غنيمي هلال الدب المقارن، ص ٢١)

مكتسبات فكرية وحضارية، إلا أنه يستوجب الاعتدال في التعاطي معه، فالاعتدال عنصر مهم في التعامل مع التلاحق الفكري وتعددية المعارف واختلاف الحضارات. (١) ذلك أن الواقع الذي تتسارع فيه المستجدات، يتطلب الاعتدال في التعاطي معه، وهو ما لا يختلف عليه العقلاء والمعتدلون من ذوي الفكر والمعرفة.

إن نظرة موضوعية في منهج الفكر الإسلامي، تؤكد لنا أنه منهج انفتاح وتعارف بين الشعوب، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا أَنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) يعمل على مفهوم يتمثل في اكتساب العلم والمعرفة من مصادر متنوعة. و لينتق هذا المفهوم أدرك المسلمون الأوائل أنه لا بد من الخروج من البيئة المغلقة، إلى عالم مفتوح يزخر بالعلوم والمعارف المختلفة، حيث يمكن التزود بالعلم واكتساب المعرفة. بهذا المفهوم استطاع العرب و المسلمون أن يقتبسوا العلوم والمعارف من حضارات أخرى، مرتكزين على منهج الاعتدال والتوسط في التعاطي مع المكتسبات الفكرية والمعرفية المختلفة. (٢) فأسسوا حضارة عربية إسلامية

---

(١) الاعتدال في اللغة فهو يأتي بمعنى الاستقامة وعدم الميل، و أهل اللغة لا يفرقون بين الاعتدال الاستقامة، والاستواء، فهم يقولون: استقام الشيء إذا استوي واعتدل، ويقولون أيضاً استوي الشيء إذا استقام واعتدل. والعدل في اللغة هو القصد في الأمور، وفي الاصطلاح هو الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط. ويأتي هنا قياساً على المدلول اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الوسطية والتي تعني التوسط في الأمور مقابل الميل الجامح الذي يؤدي إلى التطرف. والاعتدال مشتق من العدل، أي التزام الوسط و التوازن. فمن المنظور اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الاعتدال والوسطية، يتبين لنا بوضوح أن مفهوم الاعتدال والوسطية هو الأساس الثابت الذي بني عليه العقلاء والحكماء الأحكام الحياتية، و من ثم عليه يتحقق التوازن الذي هو بمثابة ركائز لحياة مستقرة وهادئة

(٢) الوسط هو ما يقع بين طرفين أي الذي يتوسط طرفين يقول ابن سيده: شهِمَ إذا اجتمع الكِماءُ، وألْهِمْتَ أَفْرَاحَهَا بِأَوْاسِطِ الْأَوْتَارِ ويقال أوسط الشيء أفضله، كوسط المرعى خير من طرفيه، ووسط الذابة للركوب خير من طرفيها. لتمكن الراكب؛ ولذلك قال الرازي: "إذا ركبنا فاجعلوني وسطاً". وقال تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أي على شك فهو على طرف من دينه غير متوسط فيه و لا متمكن، فلما كان وسط الشيء أفضله و أعده جاز أن يقع صفة، كقوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس) أي عدلاً، فهذا تفسير الوسط =

تميزت بتقدمها في العلوم من النقل والترجمة عن الأمم الأخرى كالسريانية واليونانية والفارسية والهندية، حين اخذوا من تلك الحضارات علومًا في الطب، والكيمياء، والفلك، والطبيعة، و الفلسفة؛ و أضافوا إليها ما استنبطوه من القرآن الكريم من دلالات العلم والمعرفة، و كذلك الأفكار والقوانين العلمية التي تركز على البراهين والحجة القوية الكامنة في النص القرآني، فظهرت المؤلفات والمصنفات في مختلف العلوم، وبدا التأثير واضحًا على الفلاسفة المسلمين العرب أمثال ابن رشد، وابن سينا، والفارابي، وكذلك على آراء بعض النقاد والبلاغيين أمثال قدامة بن جعفر والجاحظ وحازم القرطاجني، ولم يتوقف التأثير على استنباط الأفكار والمعارف العلمية والفلسفية للأمم التي تواصل العرب معها، بل وظفت في مجال الأدب خاصة الشعر، حتى أصبح الشعر معينًا نابضًا بالمعرفة والأفكار المستنبطة للعلوم.

التواصل بين المسلمين العرب و الشعوب الأخرى، بدأ من عصر الفتوحات وصولاً إلى العصر العباسي الذي اعتبره المؤرخون عصرًا ذهبيًا، وذلك لما اتسم به من الانفتاح على حضارات متعددة ومعارف متنوعة، وانتهاءً بالعصور الأندلسية التي امتزجت فيها الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الغربية وهو ليس أمرًا خارجًا عن المفهوم العام في المجتمعات الإنسانية المتقدمة، بل هو المفهوم الذي يركز عليه نجاح أمة تسير بخطى متزنة ومعتدلة، محافظة على الموروث، و منفتحة على المختلف من أوجه المعرفة.

---

= وحقيقة معناه وأنه اسم لما بين طرفي الشيء، و هو منه. والمثلول الاصطلاحي للوسطية يشير إلى أن وسط الشيء يعني النقيض منه، يقال واسطة القلادة الدرة التي في وسطها وهي أنفاس خرزها؛ و في الصّحاح واسطة القلادة الجوهر الذي هو في وسطها و هو أجودها. ومعروف أن " خير الأمور أوسطها". قال ابن الأثير في هذا المعنى: " كل خصلة محمودة فلها طرفان منمومان، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف منموم، ويتجنبه يكون بالبعد منه، وأبعد الجهات من كل طرفين وسطهما، وهو غاية البعد منهما، فإذا كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف المنمومة" ٢ يقال في المدح: هو من أوسط قومه أي خيارهم. و إذا كان المرء من أوسط قومه فهو من أشرفهم وأحسبهم ومنه سميت الصلاة الوسطى لأنها أفضل الصلوات وأعظمها أجرًا.

إن قراءة في التراث الفكري العربي، توضح لنا كيف أن علماء ومفكري وفلاسفة المسلمين العرب، أدركوا قيمة المعرفة واكتسابها من خارج حدود البيئة العربية، والتواصل مع شعوب أخرى والتأثر من ثم بثقافات وعلوم الأمم التي تواصلوا معها، لكنهم كانوا محافظين على ثقافتهم وهويتهم العربية، رغم اندماجهم مع حضارات أخرى، فتركوا لنا بذلك إرثاً يتسم بالتنوع المعرفي ومؤكداً في الوقت ذاته، "... أن لكل حضارة بعض الجذور الثابتة هي إرث حضاري تتركه وراءها تفيد منه كل أمة لاحقة، يمكن أن تتفاعل حضارتها معه وتجعله حجر أساس في بنيانها الحضاري الجديد". (الحاج حسين، ١٩٩٤، ٥).

المعروف تاريخياً أن احتكاك العرب بالأمم القديمة المجاورة والبعيدة، بدأ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، أي من فتح (الإسكندر المقدوني) <sup>(١)</sup> سورية وفلسطين وما بين النهرين، وفي أقطار كانت تسكنها قبائل عربية قبل أن يفتحها الإسكندر. (جوزي، ١٩٣٦، ٣/٣٢٠) لكن العرب احتفظوا بهويتهم وفكرهم وثقافتهم، رغم وجود بعض التأثير في الأفكار والمعاني في أدابهم وأفكارهم النقدية والتنظيرية، بل

---

(١) هناك مصدر أساسي لكل ما دار ويدور عن الإسكندر الأكبر في الأساطير. فقد كان الإسكندر تلميذاً للفيلسوف أرسطو وكان للفيلسوف ابن أخ يدعى كاليستنس، شارك الإسكندر في تلقيه عن أرسطو. ثم سافر مع الإسكندر في حملاته على الشرق وكتب عن هذه الحملات تاريخاً لم يكتمل وقد فقد. لكن الإسكندر أصبح بعد موته موضوعاً جذاباً للخيال المجنح وبخاصة مغامراته في الشرق. وقد كتب في ذلك كثير من الزيادات غير الصحيحة على تاريخ كاليستنس أصابت قدراً من الشهرة في العصر الإغريقي المتأخر، ... وهناك كتاب باللاتينية ألفه جولينوس فاليريوس في أواخر القرن الثالث الميلادي يضم رسالة من الإسكندر إلى أرسطو عن عجائب الهند مليء بحكايات الرحالة. وفي الأدب العربي حكايات كثيرة عن الإسكندر يرجع بعضها إلى كاليستنس وبعضها إلى النسخ السورانية...، ويطلق الإسكندر في بعض هذه الحكايات لقب "ذو القرنين" وهو يرجع فيما يبدو إما إلى تأثير القرآن الكريم الذي يتحدث عن شخصية مختلفة تماماً باسم "ذو القرنين" وإما إلى بعض الروايات المسيحية لتاريخ كاليستنس. (أنظر، حدود الأدب المقارن، فيرنر بريدريك، ديفيد هنري مالون، ترجمة عبد الحكيم حسان، ٢٠٠٢ ص ١٢٠ - ١٢١).

حتّى في بعض الكلمات الغربية التي عُدَّت دخيلة على اللّغة العربيّة— كـبعض الألفاظ الفارسية، <sup>(١)</sup> واللاتينية وغيرها، وذلك نتيجة التّلاقح الفكري <sup>(٢)</sup>، حيث أخذوا منها علوما في شتّى مجالات المعرفة.

### عصر الانفتاح الذهبي:

وإذا ما اعتبرنا العصر العبّاسي عصراً وأنموذجاً يجسد لنا كيف تم بناء الحضارة العربيّة عبر الانفتاح والتواصل الذي حدث بين العرب والأمم الأخرى، والدور الذي قدمه العرب من خلال تأثرهم بالأفكار والفلسفات التي اطلعوا عليها، واكتسابهم المعارف والعلوم التي شحذت أذهانهم بإبداع كاد يفوق ما اكتسبوه من فكر وحضارات الأمم التي اتصلوا بها، فسنجد أن التاريخ يرصد لنا أنها من الحضارات التي تكونت من خلال انفتاحها على الحضارات المختلفة، وأخذها ما يتناسب مع

---

(١) ما أخذته العربيّة عن الفارسية، كانت أسماء من نوع خاص، كأسماء نبات أو حيوان، أو معادن أو مأكولات أو مشروبات، أو ملابس، مما يدل على معانٍ فلسفية أو أشياء لم يعدها العرب من قبل، و من نماذج الألفاظ الفارسية في العربيّة: النيروز عيد الربيع عند الفرس؛ يقول البحّري: "وقد نبّه النيروز في غسق الدُّجى + أوائل وردٍ كنّ بالأمس نوّماً"، المهرجان، عيد الخريف عند الفرس، قال ابن الرُّومي: يُمن الله طلعة المهرجان + كل يُمن على الأمير الهجان" أنريون: معرب أنركون، أي لون النار، ويُطلق على ورد أحمر أو أصفر مع سواد وسطه فيهما يقول ابن المعتز: كان أنريون—ها + والشمس فيه كاليه

مداهن من ذهب + فيها بقايا غاليه

أب سرد: بمعنى الماء البارد، قال العماني الشاعر في مدح الرشيد: لما هوي بين غياض الأسد + وصار في كف الهزير الورد.

(أنظر الثقافات الأجنبية في العصر العبّاسي، ١٢٢/ ٣٣٤، صالح آدم بيلو، ١٩٨٨، ط١، ص،

٤٦-٤٧

(٢) أثبت ابن النديم الذين نقلوا من الفارسية إلى العربيّة؛ وهم عبد الله بن المقفّع، وأبو الحسن علي بن زياد التميمي، والحسن بن سئل، وجبله بن سالم، وإسحاق بن زيد، ومحمد بن الجهم البرمكي، و هاشم بن القاسم، و موسى بن عيسى الكردي، و بهرام بن مطيار الأصفهاني. (الفهرست لابن النديم ص ٢٤٤).



منهجها الفكري والأدبي، فهو مثلاً يؤكد أن الانفتاح المعتدل، لا يُشكّل خطورة على الموروث، فالعرب والمسلمون لم ينسخوا من تراثهم عندما انفتحوا على الأمم الأخرى، بل حافظوا على هويتهم و تراثهم الفكري، ونجد ذلك واضحاً في التنظير الأدبي والنقدي بل أيضاً في الأدب عامة و الشعر على وجه الخصوص، وأكثر من ذلك فهم مثلما تأثروا بحضارات تلك الأمم التي تواصلوا معها من خلال الفتوحات، أثروا بدورهم في "الأمم المحيطة بها والشعوب التي دخلت في حكمها أثناء الفتوحات العربية الواسعة، كالفرس والبيزنطيين والهند واليونان، ... ، وبذلك تكون قد قامت بدورها المجيد في سير الحضارة البشرية، فمدّت ظلّها على المشرقين الأدنى والأوسط وتجاوزتهما إلى البلاد الأوروبية، و كان لها الدور الفعّال والهم في بعث الحضارة الغربية الحديثة. لقد حملت إلى الغرب التراث الروماني واليوناني الملقح بالتراث العربي، ... ويكفي العرب فخراً أنهم بحسن سياستهم و قوة إدراكهم ووسع ثقافتهم تمكّنوا من حمل أمم كثيرة على تعلم لغتهم العربية وانتحال دينهم الإسلامي والإفادة من فنونهم وثقافتهم". (حسين، ١٩٩٤، ٦) .

بذلك حقق العرب خاصّة في العصر العباسي والأندلسي تقدماً في شتى العلوم والمعارف والآداب في بناء حضارتهم العلمية والفكرية والأدبية، ذلك لأنهم استقطبوا ما يتناسب من الحضارات الأخرى علوماً ومعارف، وأضافوها إلى ثقافتهم وعلومهم، وأثروا في الوقت ذاته في الأمم التي تواصلوا معها، بذلك لعبت هذه الحقبة الزمنية دوراً فاعلاً في اكتساب المعرفة من مصادر متنوعة، ولا شك أنه كان "الفتوح الإسلامية في أواسط آسيا و في بلاد الهند شرقاً وغرباً في شمالي أفريقية وأوروبا، أثر كبير في اتّساع أفق التفكير عند العرب فسجلوا الكثير عن أحوال هذه البلاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مما ساهم مساهمة جليلة في تقدم الحضارة و تنشيط الحياة في شتى مناحيها" (حسين، ١٩٩٤، ٩٦)، وجعلوا من المدن مراكز للعلم والتعلّم والحصول على المعرفة، وإقامة الحوارات والمجادلات، علاوة على تفاعل الكثير من العلماء في محاولة للوصول إلى المعرفة الكونية، و مدينة بغداد مثلاً على ذلك. (مورجان، ٢٠٠٨، ١٨٣)

والأمر الذي تجدر ملاحظته والإشارة إليه، هو أن العلماء المسلمين غير العرب " وُجِّهوا في أحوال جديدة خلفتها الفتوح العربية وإزالة الحواجز السياسية والدينية، هو أنهم كانوا يمثلون التقاليد العلمية الحية وكانوا خبراء في حقولهم الخاصة بهم؛ كانوا يعرفون لغات متعددة، و من ثم فقد كان باستطاعتهم أن يغرفوا من الأدب العلمي المدون بغير اللغة اليونانية؛ وكانوا على تواصل دائم واحد منهم بالآخر إما مواجهة بسبب أسفارهم ، أو عبر التراسل؛ وأخيراً، و هو الأكبر أهمية، أنه بسبب معرفتهم للغات متعددة كانوا يقومون بنقل المعرفة دون ترجمة. " ( ديمتري غوتاس، ترجمة وتقديم د/ نقولا زياد، ٢٠٠٣ ، ٥١ ) فكانوا بذلك مسلمين بالعقيدة، عرباً باللغة والفكر، حيث أنهم استقوا عمق الفكر والتفكر من القرآن الكريم، والسنة الشريفة، رغم أنهم أتوا من أصول وأجناس وحضارات متباينة.

إن عصوراً ظهر فيها أعلام لا حصر لهم في شتى الحقول العلمية؛<sup>(١)</sup> يؤكد أن المسلمين والعرب كانوا باحثين عن العلم والمعرفة يستنبطونها من أقطار العالم، وهم حين نقلوا العلوم اليونانية، لم يقفوا عند النقل، بل أضافوا إليه الكثير من مختلف

---

(١) "كجابر بن حيان المؤسس لعلم الكيمياء والخوارزمي الذي يفتح سلسلة الرياضيين العالميين العظام، إذ اكتشف وأسس لأول مرة علم الجبر الذي وضع له اسمه، وبلقانا الكندي مؤسس الفلسفة الإسلامية. و تزدهر العلوم العربية على اختلاف فروعها كما تزدهر الفلسفة الإسلامية على اختلاف مباحثها، ونذكر للعلوم مثلاً مهما هو الطبيب أبو بكر الرازي ، وقد خلف في الطب ٥٦ كتاباً سوى عشرات الكتب في الكيمياء والطبيعات والرياضيات والمنطق والفلسفة. ... وابن الهيثم البصري المتوفي حوالي سنة ٣٠٠هـ؛ للهجرة، و هو من علماء الطبيعة العالميين ويشهد له كتابه "المناظير" في البصريات وانعكاس الضوء، وله نحو خمسة وعشرين كتاباً في الرياضيات ونحو أربعين كتاباً في الطبيعات والفلسفة و مثل ثالث هو البيروني معاصر ابن الهيثم، وهو من علماء الفلك والتنجيم والرياضيات العالميين. و تؤتي هذه النهضة العلمية ثمارها في كل بلد عربي، و يكفي أن نذكر في مصر ابن النفيس في أوائل زمن المماليك، و هو مكتشف الدورة الدموية الثانية لأول مرة في تاريخ الطب. وبلقانا في الطب بالأندلس في القرن العاشر الميلادي أبو القاسم الزهراوي وله موسوعة ضخمة في الطب والجراحة. و من كبار الصيادلة الأندلسيين =

فروع العلوم والمعرفة، بحيث أصبح لهم دور عظيم ذُوْن في سجل العلوم والمعارف، وهو دور يكتبه الغربيون فيه المجادات الضخام. وبالمثل حين نقل العرب الفلسفة اليونانية لم يقفوا عند نقلها، بل أخذوا في إدخال إضافات كثيرة على مباحثها بحيث تكون لهم سريعاً فلسفة عظام يتقدمهم الكندي في القرن التاسع الميلادي، ويختتم هذا القرن بالفارابي الذي استطاع من خلال مباحثه الفلسفية الكثيرة أن يضيف إليها فلسفة إلهية تقوم على التوفيق بين العقل الذي أكبره الكندي والبدن الحنيف. (ضيف، ١٩٩٨، ١١٢-١١٣) يُضاف إلى هؤلاء العلماء والفلاسفة؛ الأشعري والجبائي والبقلائي في علم الكلام، والمسعودي والبلخي في التاريخ والجغرافيا. حيث دون المؤرخون بصمات هؤلاء الأعلام في سجل التاريخ يقول طه حسين: "ومن الواضح أن المؤرخ إذا كتب بعد رحلته، كان لكتابه قيمة خاصة ليست لغيره من المقيمين، ولذلك كثر في كلام المسعودي الإخبار عما رأى من الأعاجيب، وما ابتلى من العادات والأخلاق. وخصلة أثرت في التاريخ أثراً ظاهراً وهي درس المؤرخين للعلوم الفلسفية، فإن هذا الدرس قد منحهم شيئاً من النقد والتعليل، اندفع بهم إلى التعرض لشرح المؤثرات الطبيعية والحوادث الجوية، كالزلازل والبراكين، وكالإقليم والمد والجزر، ونحو ذلك مما هو منبث في كتب المسعودي" (حسين، ١٩٩١، ٣/ ٤٣٧) <sup>١</sup> كذلك اهتم الكتاب والمترجمون والشعراء والفلاسفة وكل من عني بالعلم والمعرفة والأدب، بالنقل من فلسفة اليونان، فترجمت كتب أفلاطون وأرسطو وبطليموس وجالينوس، كما ترجمت كتب الطب والهندسة والمنطق والأخلاق وكان كل ذلك يدرس في الأندية والمدارس والمكتبات وقصور الخلفاء والوزراء، وكان الأدباء والشعراء والكتاب يعيشون هذا النشاط العلمي والفكري، بل ويتنافسون على

---

=ابن البطار، ... و من كبار الرياضيين الأندلسيين البطروجي، و له نظرية - لم يسبق إليها - في حركات النجوم. و نَمَى العرب علم الجغرافيا إلى أقصى حد، و حق للمغرب أن يفتخر بأنه أهدى إلى العالم أكبر جغرافي ظهر فيه حتّى نهاية العصور الوسطى ونقصد الإدريسي المولود في سبة مؤلف "تزهة المشتاق في اختراق الآفاق" و هو يفتتح به عصرًا جديدًا في علم الجغرافيا" (أنظر، شوقي ضيف، من المشرق والمغرب: بحوث في الأدب، ١٩٩٨، ص ١١٢-١١٣).

استنباطه من مصادر متعددة، تارة من العلماء، كعلماء اللغة والنحو والبلاغة بما يساعدهم في صقل لغتهم الشعرية وجمالياتها من حيث التركيب والصياغة والأوجه البلاغية. وتارة أخرى من الفلاسفة والمؤرخين، ولا يترددون في الاستزادة من علوم أخرى، كعلم الفلك والنجوم والجغرافيا وغيرها من العلوم الطبيعية والكونية ينثرونها في أشعارهم وأعمالهم الأدبية والفكرية.

في المقابل ساهم المسلمون العرب في نشر الثقافة العربية المرتكزة على منهج الإسلام، وكان في ذلك اعتدالاً وتوازناً بين مفهوم الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية، والانفتاح على الحضارات الأخرى، والاستفادة منها بما يضيف إلى الحضارة العربية المفيد النافع، حيث بدا واضحاً أن العرب "استلهموا ما هو صالح من قيمها وأصولها وقسماتها مما لا يتعارض مع الروح العربية الإسلامية، ثم صنعوا مع شعوب هذه البلدان ذلك المزيج الحضاري الجديد الذي يتكون من فكر ... الإسلام النقي، وروح العروبة المتوثبة، والمواريث الحضارية الصالحة في البلاد التي فتحوها، وهو المزيج الذي تبلور في الحضارة العربية الإسلامية". (عمارة، ١٩٨٤، ١١٧)

هذا السجل الحافل بالحراك الفكري والمعرفي، و ما نتج عنه من مؤلفات ومصنّفات في شتى العلوم والمعارف، يؤكّد أن النقاء الثقافي المختلفة يسهم في تشكيل خارطة نشاط الفكر الإنساني، وزيادة الوعي المعرفي، ومن ثم في بناء الحضارات. وتقارب البيئات المختلفة، أخذ منحاً إيجابياً في التعامل مع الحضارة الإنسانية<sup>(١)</sup> وهكذا كان العصر العباسي معيناً ينبض بالعلوم والثقافات التي استثمرها

---

(١) تاريخ العلاقات الفكرية متشابك وقد لا يتيح معرفة أقدم تأثير أو تلاحق معرفي حدث في التاريخ الإنساني، إلا أن ما اتسم به التراث العربي من عراقة حضارية امتدت متنامية عبر الزمان والمكان قبل أن تكتمل في النهاية في حضارة عربية إسلامية، تؤكد أن الشرق القديم - والعرب جزء منه - قد سبق "الغرب و اليونان إلى ابتداء حضارات إنسانية تميزت بالنضج، وكانت تقوم على صناعات وعلوم عملية، ... و من دلالات العلوم التي توصل إليها الشرق القديم أن قدماء المصريين كانوا أول من ابتدع الرياضيات، واخترع الميكانيكا، ... و كان البابليون والكلدانيون =

الفلاسفة والنقاد والشعراء المسلمين والعرب على السواء. <sup>(١)</sup> وفي هذا الشأن نجد العديد من الأمثلة؛ مما يدل على الكم المعرفي الهائل الذي كان يتمتع به العصر، من المعرفة والعلوم بما يشير إلى روح العصر العلمية والفلسفية. و من البديهي أن لا يكون الإنسان في هذا العصر بمعزل عن هذه الروح العلمية والحياة العقلية؛ فهذه الدرجة الرفيعة في المستوى الفكري أصبحت ظاهرة سجلها الشعراء في أشعارهم فأصبح الشعر منبعاً للعلم والمعرفة.

### العرب والفلسفة اليونانية:

كان للفلسفة اليونانية أثر كبير على الفلاسفة المسلمين، ليس في الجانب الفكري والفلسفي فحسب، بل في الجانب الأدبي ممثلاً في تناول التنظير الشعري

---

أول من درس أجرام السماء، فقسّموا اليوم إلى أربع وعشرين ساعة، وتنبؤوا بكسوف الشمس وخسوف القمر. وكانت مدرسة الرواقين الكبرى من مدارس الفلسفة اليونانية، شرقية في أصول مبادئها وتفكيرها و في أساتذتها، و كان رأسها "زينون" من أصل فينيقي،... ( أنظر: محمود أحمد السيد، التراث بين الماضي الحي والغد المنشود، العرب: مجلة تعني بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ج ٩ و ١٠، ١٤٣١، ص ٥٢٤-٥٢٥.

(١) كان هذا العصر أمونجاً للتواصل المعرفي بين الأمة العربية وغيرها من الأمم التي انفتحت عليها العرب. و بذلك مثّل هذا العصر عهد الثقافات والعلوم العقلية والفلسفية وغيرها من علوم الطب والهندسة والفلك، وذلك نتيجة اتصال الإنسان العربي بالحضارات الإنسانية المتعددة؛ اليونانية والفارسية والهندية والسريانية، وكان من نتائج هذا الاتصال أن نشطت الحركة العلمية والفكرية أيما نشاطاً، تولدت منها أعداد من المصنفات والمؤلفات والترجمة، حيث نقلت أنواعاً عديدة من فنون العلم من اللغات المختلفة، واستتبقت القوانين والأحكام لكثير من العلوم. لا شك أن هذا الحراك العلمي في العصر العباسي، الذي نتج عن انفتاح العقل العربي على الحضارات الإنسانية، له دلالاته التي ظهرت في أوجه عديدة؛ من الأفكار، والمعاني، التي لم تخل من إشارات معرفية عن الظواهر الكونية، والحقائق العلمية والمعرفية، والاصطلاحات العلمية والفلسفية، كالجوهر والعرض، والطبائع، وغيرها مما يلاحظ كروح للعصر العباسي. ولعل خير من يمثل هذه الروح في الأدب العباسي، هم الرموز البارزة في هذا العصر: أبو تمام والمتنبي والمعري.

وظهور بعض النظريان النقدية التي عالجت الشعر من منظور فلسفي، وظهر هذا التأثير بوضوح على آراء الفلاسفة والمفكرين الإسلاميين الذين كانت اهتماماتهم كبيرة في تناول الشعر وعلاقته بالفلسفة، حيث تجسدت تلك الاهتمامات في معالجة الشعر استناداً إلى نظرية المعرفة ونظرية المحاكاة لأرسطو. وكان لهذا التوجه ملامح واضحة في رؤاهم الفلسفية والنقدية. فمن المعروف أن اليونان<sup>(١)</sup> لهم السبق في تأسيس الحضارة العلمية والفلسفية. فمن علومهم وفلسفاتهم وآدابهم نهل الرومان، وتأسست المدنية اللاتينية التي تُعد الأم لعدد من الحضارات الإنسانية. ويرجع جانب كبير من النهضة العلمية والفكرية للعرب بعد الإسلام إلى اليونان؛<sup>(٢)</sup> في العلوم الطبيعية و الفلسفة والطب والطبيعة والفلك وعلوم الاجتماع والأخلاق. و كان للفتوحات الإسلامية أثر في التواصل مع أمم وشعوب كالإيونان والفرس وغيرها، كما

(١) قدماء اليونان يتألفون من قبائل تتفق في أصولها، وتختلف اختلافاً يسيراً في التقاليد والنظم الاجتماعية، مجموعة هذه القبائل تتمثل في القبائل "النورية" *Doriens* التي كانت تسكن منطقة "لاكونيا" *Laconie* من شبه جزيرة "البيلوبونيز" *Peloponese* واشتهرت بلادهم باسم عاصمتها "إسبرطة" *Sparte* و ثانيتهما مجموعة قبائل "الأكتيين" *Acteens* التي كانت تسكن منطقة "أتيكا" *Attique*، واشتهرت بلادهم باسم عاصمتها "أثينا" *Athenes*

(٢) تميزت اليونان بعوامل ساهمت في بناء حضارتها؛ منها ما هو طبيعي يرجع إلى اعتدال مناخها، وخصوبة أرضها، وامتداد سواحلها وكثرة خلجانها، و تعدد مرافئها، ... و منها ما هو اجتماعي عام يرجع إلى اختلاطهم بغيرهم من الأمم وانتفاعهم بمختلف الحضارات وشتى المعارف السائدة في عصرهم وبخاصة حضارات الشرق وعلومه. و منها ما هو سياسي واجتماعي يرجع إلى سنوه للحكم و ما وضعوه للحياة الاجتماعية من نظم تقسح للفرد مجالاً للنهوض و تحفزه على النشاط وتذلل له سبل الارتقاء الفكري والاجتماعي. و منها ما يرجع إلى ما زود به هذا الشعب من مواهب وكفاءات، [تتمثل في] تنوع استعداد [اليونانيين] و نبوغه في شتى فروع الحياة، عمق التفكير و دقته و عدم قناعته بالفهم السطحي والإلمام بظواهر الأمور. وبفضل هذه الخاصة كان الاستدلال الإغريقي والفلسفة و تحليل الإغريق لمظاهر الحياة المادية والاجتماعية والخلقية من أعمق أنواع الفلسفة والاستدلال والتحليل. (انظر الأدب اليوناني القديم، د/ على عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دت، ص ٥ - ٨)

ساهم منهج الفكر الإسلامي في حث العرب والمسلمين الذي اعتنقوا الإسلام وأصبحوا من أبناء الدولة الإسلامية، على اكتساب المعرفة والعلم من مصادر مختلفة، وأن ينهلوا منها ما لا يتعارض مع العقيدة الإسلامية. وكان من نتائج هذا الحراك العلمي والفكري، أن اهتمت الدولة الإسلامية بترجمة العلوم والمعارف، فلعبت الترجمة دوراً كبيراً في نقل العلوم والفلسفة اليونانية إلى العربية، ما شكّل علماً وفكرًا ممزوجًا بثوابت منهج الإسلام الذي يحث الإنسان على أن عمارة الأرض تكون بالإنسان الذي يتمتع بفكر منفتح وعقل مدرك، يختار من العلوم والمعارف المفيدة من شتى المصادر لتحقيق البناء وتعمير الأرض. حيث استفادت شرائح عديدة من نتاج ذلك الحراك المعرفي، ويبدو ذلك واضحاً في توظيف العلوم والفلسفة اليونانية في التنظير الأدبي، خاصة نظرية المحاكاة والتخيل، وظهر ذلك التأثير في معالجة بعض الفلاسفة كما سنرى في معالجة الفارابي للشعر حيث ركز في مشروعه الفلسفي على لغة الشعر وتركيبه النحوية وأنظمتها الرمزية، و ما تستبطنه من دلالات معرفية.

## الفارابي وتأثره بالفلسفة اليونانية: أنموذجاً

النموذج الذي سنتناوله بالدراسة عن تأثير الفلسفة اليونانية، هو المفكر والفيلسوف الإسلامي الكبير، الفارابي<sup>(١)</sup> ارتبط تأثره بالفلسفة اليونانية و بنظرية الشعر والمحاكاة، واهتم الفارابي بالشعر واعتبره جزءاً من اهتماماته الفلسفية فأدخله في مشروعه الفلسفي. يلاحظ أن الفارابي استند في كلامه عن الشعر على أبعاد أربعة اعتبرها ركائز أساسية في الكلام عن الشعر؛ البعد اللغوي، والنحوي، حيث اهتم بلغة الشعر وتركيبه النحوية وأنظمتها الدلالية والرمزية لأنها تتضمن المعارف التي تساهم في إثارة العقل وتوسيع دائرة المعرفة الكونية والإنسانية، مؤكداً بهذه الرؤية الفلسفية المخزون المعرفي في الشعر بما يحتويه من علوم متعددة منها ما هو من العلوم

---

(١) هو محمد بن محمد بن طرخان ، من أوزلغ الفارابي التركي. ولد في مقاطعة فاراب في تركستان عام ٨٧٢ م ، و توفي في دمشق عام ٩٥٠ م. سافر إلى بغداد و تتلمذ على يد أبي بشر متى بن يونس، الذي ترجم كتاب أرسطو "فن الشعر" يُعتبر من أبرز الفلاسفة والمفكرين الإسلاميين، أرسى قواعد لعلوم عديدة كالفلسفة والطب والموسيقى وعلم الاجتماع وعلم الفلك، منظر ورائد من رواد الفكر والمعرفة.

للمزيد من المطالعة لسيرة وفكر الفارابي، يمكن الرجوع إلى المصادر والمراجع التالية: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ت)، البيهقي، ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد، تاريخ حكماء الإسلام، تقديم و تحقيق ممدوح محسن مهدي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٧ هـ، ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الثقافة ، ١٤٠١ ، البصري، عبد الجبار داود، مكانة الفارابي في تاريخ نظرية المحاكاة في الشعر، ضمن كتاب الفارابي والحضارة الإنسانية، بغداد مطابع الحرية، ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ، محمد فتحي عبد الله، مترجموا وشراح أرسطو عبر العصور، الإسكندرية، دار الوفاء، (د.ت) مصطفى الجوزو، نظريات الشعر عند العرب، (الجاهلية والعصور الإسلامية)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨م، ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، القاهرة، الهيئة المصرية العام للكتاب ، ١٩٨٤ م. عبد العزيز عبد الحميد جيدة، التخيل والمحاكاة في التراث الفلسفي والبلاغي، ، طرابلس ، دار الشمال ، ١٩٨٤ .



الإنسانية والعلوم الطبيعية. في حديثه عن اللغة، يرى الفارابي أن "الألفاظ لا تخلو من أن تكون: إما دالة، وإما غير دالة، والألفاظ الدالة: منها ما هي مفردة، ومنها ما هي مركبة، والمركبة: منها ما هي أقاويل، ومنها ما هي غير أقاويل، والأقاول: منها ما هي جازمة ومنها ما هي غير جازمة، والجازمة منها ما هي صادقة، ومنها ما هي كاذبة. والكاذبة: منها ما يوقع ذهن السامعين الشيء المعبر عنه بدل القول، ومنها ما يوقع للمحاكي للشيء، وهذه هي الأقاويل الشعرية" (الفارابي، رسالة في قوانين صناعة الشعراء في كتاب "فن الشعر"، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص ١٥).

ثم التخيلي،<sup>(١)</sup> فالشعر عنده تخيل، وربط التخيل بما يحدثه من الأثر النفسي، و ما يفعله من خلق حالة نفسية عند المتلقي وأثر التخيل شبيه بأثر المحاكاة. يقول د/ الجوزو: "لأن الفارابي يكمل نظرية الحكيم: فذاك يقتصر على الشعر التمثيلي وهذا على الشعر المحض. لا التخيل عنده، و كما نستطيع أن نعبر عنه بلغتنا الحديثة، هو إحياء أو خلق لحالة نفسية في ذات المتلقي هي حالة النفور أو القبول" (الجوزو، نظريات الشعر ص، ١١٦). والفارابي يربط بين التخيل والمحاكاة،

(١) المفكرون العرب ينظرون إلى الأمور المتخيّلة نظرة تؤكّد أن الأمور المتخيّلة تنزل من العقل منزل الأمور المحسوسة التي تترك بالحس، فالعقل والمخيّلة قوتان متلازمتان، فموقع المخيّلة بين الحواس والعقل يمنحها القوة التي تحقق المعرفة التي يستقيها الإنسان من الكون والموجودات والأحداث. أكد ابن رشد في تلخيصه لكتاب أرسطو (النفس) أن العلم الأرسطي يقوم أساساً على نظرية القوى أو الملكات التي يمتلكها الإنسان، وهي؛ قوى الحواس الخمس، والحس المشترك، وقوة التخيل، والقوة الناطقة، والقوة الفروغية، واعتبر التخيل قوة قائمة بذاتها غير قوة الحس والعقل، وهي وإن كانت مستقلة عن بعضها، إلا أنه ليس استقلالاً تاماً، فكل قوة تحكم الأخرى، وعلى هذا الأساس فإن قوة العقل تحكم قوة الخيال، وقوة الخيال تحكم الحس المشترك، والحس المشترك يحكم قوة الحس، وإن قوى الحس والحس المشترك لا بد منهما لقوة الخيال كما أن التخيل ضروري للعقل؛ ...". يشير ابن رشد إلى الخيال بقوله: "والخيالات التي في النفس هي التي تنزل من العقل منزلة المحسوسات من الحس؛ أعني أنه كما أن الحس يحكم على المحسوسات كذلك العقل يحكم على الخيالات، ولذلك ليس يمكن أن يكون من العقل تصور ولا حكم دون تخيل". (أبو الوليد ابن رشد "تلخيص كتاب النفس" تحقيق وتعليق ألفرد. د. ل. عيدي، مراجعة محسن مهدي، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٣٤)

فيجعل التخيل ضربين: " تخييل للأمر في نفسه وتخييله في شيء آخر وهو يصدر في هذا عن قسمته المحاكاة قسمين: محاكاة بسيطة و محاكاة مركبة: الأولى تشبه صناعة تمثال لزيد والثانية تشبه النظر إلى هذا التمثال في مرآة. " (الجوزو، نظريات الشعر، ص ١١٦) وقد ورد عن الفارابي في كتاب الشعر لشكري عياد نقلاً عن كتاب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني، قول الفارابي في كتاب الشعر: " الغرض المقصود بالأقوال المخيلة أن ينهض السامع نحو فعل الشيء الذي خيل له فيه أمر مما يلتمس طلب أو مهرب عنه. ثم قال: سواء أصدق فيما خيل إليه من ذلك أم لا، كان الأمر في الحقيقة على ما خيل له أو لم يكن". ( كتاب أرسطو في الشعر، شكر عياد، ص، ١٩٤ )

وفي إشارته إلى المحاكاة؛ يعدها جوهر الشعر، يقول: " والقول إذا كان مؤلفاً مما يحاكي الشيء، و لم يكن موزوناً بإيقاع، فليس يعدّ شعراً، و لكن يُقال هو قول شعري، فالمحاكاة أهم من الوزن في الشعر؛ وعندما يتجرد قول من الوزن ويتصف بالمحاكاة، يُسمّى قولاً شعرياً...، ( أبو نصر الفارابي، " كتاب الشعر" تحقيق محسن مهدي، مجلة شعر، عدد ١٢ ، ١٩٥٩، ص ٩٢ ). وعرف الشعر بالتركيز على جوهره يقول: " فقوام الشعر وجوهه عند القدماء هو أن يكون قولاً مؤلفاً مما يحاكي الأمر . وأن يكون مقسوماً بأجزاء ينطق بها في أزمنة متساوية. ثم سائر ما فيه فليس بضروري في قوام جوهره. وإنما في أشياء يصير بها الشعر أفضل" (انظر: كتاب الشعر للفارابي- مجلة شعر، بيروت خريف ١٩٥٩ م ، ص ٩١ - ٩٢ ).

من الواضح أن الفارابي ارتكز في تعريفه للشعر على أساسين: هما "المحاكاة" و "الوزن" ، وهو يفاضل بينهما " فيؤكد أن المحاكاة وعلم الأشياء التي بها المحاكاة هما أعظم ما في قوام الشعر، وأن أصغر ما فيه الوزن، إلا أن الوزن شرط ضروري للشعر لأن المحاكاة لا تكفي وحدها لاعتبار القول شعراً . والكلام الذي فيه محاكاة من غير وزن يعدّ عنده قولاً شعرياً، فإذا وزن مع ذلك وقُسم أجزاء صار شعراً". (انظر: كتاب الشعر للفارابي- مجلة شعر، بيروت خريف ١٩٥٩، ص ٩١- ٩٢. انظر: مصطفى الجوزو، نظريات الشعر، ص ٢٠٤-٢٠٥ ) فالمحاكاة عند

الفارابي كما أشار مصطفى الجوزو؛ عنصر أساسي في الشعر. وهو يوضح " تخصيص المحاكاة بالشعر. فكل ما فيه محاكاة إما أن يكون شعراً وإما أن يكون فيه شعر. وإذن فالمحاكاة خصوصية شعرية لا نظرية" (الجوزو، ١: ٢٠٥)

يتفق الفارابي مع أرسطو في اعتبار أن المحاكاة في الشعر ركيزة أساسية ، وليس الوزن. نظرية أرسطو في هذه المسألة تكمن في مقولته التالية، حيث يقول: " وكما أن الناس قد يشبهون بألوان وأشكال كثيراً ويحاكون ذلك، من حيث إن بعضهم يشبه بالصناعات ويحاكيها، وبعضهم بالعادات، وقومٌ آخر منهم ، كذلك الصناعات التي وصفنا. وجميعها يأتي بالبتشبيه والحكاية، فالإيقاع والوزن - مثلاً - يُستعملان وحدهما في الصقر في النَّاي وصنعة الضرب على القيثارة، و ما قد يكون من صانع لها مثل قوتها، كصفارة الراعي. و الوزن وحده - بغير إيقاع - يستخدم في الرقص، فإن الرقص يُحاكي الخلق والانفعال والفعل بوساطة الأوزان الحركية. أم الصنعة التي تحاكي باللغة وحدها منثورة أو منظومة - ومن النظم ما يكون في جملة أعاريض مجتمعة، و منه ما يكون في جنس واحد من الأعاريض - أما هذه الصنعة فلم يعرف لها اسم حتى الآن، فليس لدينا تسمية عامة لمشاهد ومحاورات سقراط، و لا لما قد يعمل من المحاكاة في العروض الثلاثي أو اللاليجي أو غيرهما من الأعاريض. إلا أن الناس يلحقون كلمة الشعر بالعروض المقول فيه، فيطلقون اسم "الشعراء الإليجيين" على فريق، واسم شعراء الإبي على فريق آخر، لا يرجعون في تسمية هؤلاء وأولئك شعراء إلى المحاكاة بل إلى العروض دون تمييز بين محاك منهم و غير محاك، حتى لقد جرت عاداتهم أنه إذا وضعت مقالة طبية أو طبيعية في كلام منظوم سموا واضعها شاعراً. على أنك لا تجد شيئاً مشتركاً بين هوميروس وأمبدوكليس ما خلا الوزن، بحيث لك أن تسمي الأول منهما شاعراً ، أما الثاني فيصدق عليه اسم "الطبيعي" أكثر من اسم "الشاعر". وعلى هذا القياس ينبغي أيضاً أن نسمي شاعراً من يأتي بالمحاكاة في مزيج من الأعاريض". (من كتاب أرسطو طاليس في الشعر، حققه د/شكري عياد ص ٢٩)

يؤكد الفارابي مفهومه عن المحاكاة فيصنفها إلى نوعين: أتم وأنقص؛ يقول: "ومن هذه المحاكاة ما هو أتم محاكاة، ومنها ما هو أنقص محاكاة والاستقصاء في الأتم منها، والأنقص إنما يليق بالشعراء وأهل المعرفة بأشعار لسان لسان ولغة لغة، ولذلك ما يخلّي عن القول فيها لأولئك - ولا يظن ظان أن المغلط والمحاكي قول واحد، وذلك أنهما مختلفان بوجه- منها أن غرض المغلط غير غرض المحاكى؛ إذ المغلط هو الذي يُغلط السامع إلى نقيض الشيء حتى يوهمه أن الموجود غير موجود، وأن غير الموجود موجود. فأما المحاكى للشيء فليس يوهم النقيض، بل التشبيه" و في إشارته إلى المغلط والمحاكي يرق بينهما فيما يرميان إليه من غرض: فالمغلط يوهم الناس ويقنعهم بوجود أشياء لا وجود لها في الحقيقة، أما المحاكى؛ فهو يقدم تشبيه الشيء الموجود، أي أنه لا يقدم الشيء كما هو، بل تشبيهه، فالمحاكاة مرادفة للتشبيه. وبالتالي فالمحاكي لا يصور بكيفية ناقصة أو غير حقيقتها، إنما يقدمها أو يقدمها مُحَيَّلَةً. ( الفارابي، رسالة في قوانين صناعة الشعراء في كتاب "فن الشعر"، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص ١٥ )

من الواضح أن الفارابي حين يصنّف الأفاويل المحاكية، إلى أتم وأنقص؛ فهو يختلف مع أرسطو في ناحية، ويلتقي معه في ناحية أخرى؛ يختلف مع أرسطو "في أن الاستقصاء تستعمل فيه المحاكاة الأتم، مع أن أرسطو ينفي أن تكون المقالة الطبية الموزونة شعراً؛ لأنها تفتقر إلى المحاكاة، فأرسطو هنا ينفي المحاكاة التي تتضمن استقصاء. ويلتقي الفارابي مع أرسطو في جعل المحاكاة الشعرية غير تامة، ذلك أن أرسطو يجعل المحاكاة خاضعة لمبدأ الاختيار والضرورة والرجحان" (الجوزو: ج ١، ٩٤).

يمنح الفارابي الشعر قيمة معرفية، من خلال المحاكاة، لأن فيه محاكاة للكون والحياة والإنسان. وإذا كان الشعر في طبيعته وحسب نظرية المعرفة لأرسطو،<sup>(١)</sup> محاكاة، فهو يتناغم مع الطبيعة ومع الواقع الحياتي للإنسان، وبما أن الحياة تسير في حركة دائبة تارة، فالشعر يسجل هذه الحركية. ولعل هذا ما جعل لقدماء العرب رؤية تؤكد البعد المعرفي حين جعلوا الأدب منظومة معرفية متجانسة من علوم عديدة، حين وظفوا الشعر في الاستدلال والاستشهاد على وجود هذه العلوم والمعارف ممثلة في المسائل النحوية والقضايا البلاغية والعروضية، كما أدخلوا في مجال الأدب علوم الفلك والفروسية والهندسة والكيمياء وأيام العرب عندما يشيرون إلى أيامهم وأنسابهم، إضافة إلى اعتبار الشعر من مصادر التعرف على مسائل تتعلق بالإنسان، وذلك من حيث كونه يمتلك قوى الإدراك والاستنباط ولديه إمكانات استثمار المعطيات المحيطة به من خلال الكشف عن أسرار الكون والحياة، وعن الطبيعة الإنسانية، والخروج عن الحدود المحيطة به إلى دائرة أوسع للتعرف على الآخر من خلال الأدب عامة والشعر على وجه الخصوص. لذلك استوجب أن يكون الشاعر ملماً بالعلوم و المعارف. يقول ابن رشيق في هذا الشأن: "والشاعر مأخوذ بكل علم، مطلوب بكل مكرمة؛ لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل: من نحو، ولغة، وفقه، وخبر، وحساب، وفريضة، واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته، وهو مكتف بذاته، مستغن عما سواه؛ ولأنه قيد للأخبار، وتجديد للأثار". (ابن رشيق، العمدة، ص ١٩٦)

(١) نظرية المعرفة كما عرفها أرسطو توازن بين أمرين هما: الإدراك الحسي والإدراك العقلي، فالإدراك الحسي يدرك جزئيات هذا العالم سواء الذي تشاهده الحواس، أو الذي يختزنه الذهن من موجودات سبق له معرفتها، وترتكز نظرية المعرفة عند أرسطو على قوى الإدراك المتمثلة في "قوى النفس"، أي في العقل و الحواس و المخيلة، هذه القوى هي الأساس في التحصيل والإدراك المعرفي. إضافة إلى ذلك يربط أرسطو المعرفة بالخيال، حيث يعتبر الخيال قوة من قوى الكائن البشري في علاقاته الإنسانية التي تتجسد في أقواله وأفعاله؛ ولذلك فإن " الفن الشعري يعبر عن التجارب البشرية أعمق من التاريخ، لأنه يكشف عن جواهر الأشياء وحقيقتها ويضمن وحدتها وانسجامها". (أرسطو، فن الشعر، ١١-١٦).

والأدب بلغته التي ترصد نشاط الإنسان الفكري والعاطفي عبر الحقب الزمنية يعد منبع تلك الأسرار، ونتاج فاعل يسهم في تنمية الحياة الإنسانية باطراد مستمر وأساليب متنوعة تشمل شتى الجوانب الكونية والحياة، ويتيح للإنسان إدراكها.<sup>(١)</sup>

### مفهوم المعرفة في لغة الشعر عند الفارابي:

أما في خاصية اللغة فالفارابي مثله مثل الفلاسفة والنقاد المسلمين في الكلام عنها، حين تناولوها في طرحهم الفلسفي والنقدي، وذلك لقناعتهم بما تختزنه من معارف وعلوم، وما تتسم من إمكانات تكمن في تصوير الكون، والأحداث والأشياء، واستطاعة الإنسان في استعمالها للتعبير عن فهمه للكون والأشياء وإدراكها. ففي حديثه عن علاقة اللغة بالعلوم أدخل الفارابي الشعر ضمن تصنيفه للعلوم إلى علوم "لسانية تتصل بعلوم المفردات والمركبات وقواعد الإعجام والإعراب والعروض وسواها وإلى علوم عقلية تشمل المنطق بأجزائه الثمانية وهي "المقولات"، و"العبارة"، و"القياس"، و"البرهان"، و"الجدل"، و"الفلسفة"، و"الخطابة"، و"الشعر". فالشعر إذن فرع من فروع المنطق الذي يحصن حسب رأي الفارابي طريق طالب المعرفة من الأغلاط والزلات<sup>(٢)</sup> فالأقوال الشعرية ارتبطت عند الفارابي بالمسألة المعرفية، حيث صنف الشعر وفق ثلاثة معايير: معيار (الدلالة) ومعيار (الجزم) ويقصد به المعنى المعرفي، ومعيار (الصدق والكذب)<sup>(٣)</sup> وهو بذلك يؤكد إمكانات اللغة على رسم

---

(١) تحصل المعرفة عن طريق الحواس، فالحواس تغذي الملكات والقوى الأخرى؛ كالعقل والخيال في الإبداع ومن ثم يتحقق الإدراك المعرفي. (انظر: أسد محمد "ميكانيكا المعرفة" دار البناييع، دمشق، ٢٠٠٣، ص ٤٨)

(٢) انظر ماجد فخري، مختصر تاريخ الفلسفة العربية، بيروت دار الشورى، ط ١، ١٩٨١ ص ٤٨ الكندي ت ٢٥٢ والفارابي ت ٣٣٩ وابن سينا (ت ٤٢٨) وابن رشد (ت ٥٣٣) انظر كذلك أنظر قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ٧ هـ، د/ أحمد الوردني، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤، ط ١، ج ٢، ص ٩٨٥

(٣) من الملاحظ أن الفلاسفة الذين تأثروا بالمنظور الأرسطي كان أساسهم لفهم طبيعة الشعر ودوره الوظيفي ثم أثره الأدبي، هو نظرية المحاكاة. كانت اهتماماتهم تتمحور حول مسائل "التخيّل" =

الأشياء، وتصويرها في حالة الكمون أ والحركة، واللغة هذا الدور بما تتسم به من أنظمة رمزية وأنساق وتراكيب ودلالات<sup>(١)</sup> تمنح الموجودات معانيها. يشير الفارابي إلى علاقة الألفاظ بالأشياء بقوله: "وأما الألفاظ فإنها علامات مشتركة إذا سمعت خطر ببال الإنسان الشيء الذي جعل اللفظ علامة له،..." (الفارابي، ١٩٦٠، ٢٥)

هكذا تكون اللغة في الفكر الفلسفي الإسلامي وعند الفارابي، فاللغة آلة التواصل ووسيلة التعبير، لها فاعليتها في الوجود والموجودات، وهي ملازمة للإنسان في حالة تعبيره عن أغراضه، أو في حالة تواصله بغيره، كما يقول ابن جني: "أصوات يُعَبَّرُ به كل قوم عن أغراضهم" (ابن جني، الخصائص، ١/٣٣) فهي بلا شك المركبة التي تحمل ثقافات المجتمعات الإنسانية، وتختزن معارفهم، فتتقل بذلك حضارتهم عبر الأزمنة والأجيال. "إن الناظر في تراث التفكير العربي يُدرك أن رواده قد كانوا ينزلون النقاء الإنسان باللغة في لحظة التحديد ذاتها. إذ أن الحد المميز للإنسان لا يتخصص إلا بدخول عنصر اللغة فيه. ففي مستوى التعريف المنطقي للإنسان تمثل الظاهرة اللغوية المجور الفقري الذي تتولد عنه مجموعة الفوارق التمييزية على الصعيد الوجودي والفلسفي عامة، ولا يكاد يخلو تعريف للإنسان، سواء على نهج الفلاسفة والمتكلمين، أو على طريقة الأدباء واللغويين، من قصر سمة التمييز على ظاهرة الكلام فهو الحيوان الناطق" (المسدي، التفكير اللساني، ١٩٨٦، ٤٦).

وإذا كانت آلة الشعر هي اللغة، واللغة هي الوسيط بين الإنسان والعالم، فقد ساعدت اللغة الإنسان على معرفة الموجودات في العالم وإدراكها، فأصبحت بذلك وسيلة يصنع "منها معرفة وعلمًا، وبواسطتها يستطيع أن يمد نفوذه على الوجود، وأن

---

حـ "المحاكاة" و"التخييل"، (أنظر قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ٧ هـ، د/ أحمد الوردني، دار الغرب الإسلامي، هـ ١٤٢٤، ط ١، ج ٢، ص ٩٨٥).

(١) في الدلالة يقول ابن سينا: "و معنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أوردته الحس على النفس التفتت إلى معناه." أنظر كتاب الشفاء- العبارة- ص ٤ القاهرة، ١٩٧٠.

يحتويه شيئاً فشيئاً، ويمتد سلطانه على قدر علمه ومعرفته، و لا يتسع إلا بقدر ما تتسع لغته. فالوجود الحق وجود اللغة" (صمود، جدة، ١٩٩٠، ٣٨) .

بذلك اكتسب الشعر سمات ثراء اللغة المعرفي فسجل حضارات و معارف، إضافة إلى أن لغته المشحونة بأنظمة منحته إمكانية الاستعمال الذي يصور مفهوم التجاذب والتناغم الحركي في الكون ويجسد علاقة الإنسان بالأشياء المحيطة به، فهو يرسم بالكلمات التناغم بين الأشياء والظواهر الكونية وبين الواقع الحياتي للإنسان، و يحدث تآلفاً بين الأشياء ويجذبها في حالة من الانسجام والتناغم، ويتحقق ذلك وفق قانون الربط أو ما يسمى بالتأليف، *The Combination* "معطيات العالم الخارجي عبارة عن متنوع حسي يتم تلقيه من لدن الفهم بواسطة صور حدسية تقوم فينا قبلًا، وهما: الزمان والمكان، وكل من هذين العنصرين لا يمثل بحد ذاته قدرة من شأنها توليد معرفة محدّدة وواضحة، أي أنّه لا بد من وجود قدرة تقوم بربط المعطيات وصورها الحدسية بالفهم، وهذه القدرة هي: الربط أو التأليف".<sup>(١)</sup> وهي في ذاتها قيمة يتميز بها البناء الشعري في تحقيق التآلف بين المختلف من الأشياء، من خلال الميزة التي تتسم بها لغة الشعر، ذلك أن لغة الشعر بالإضافة إلى أنها لغة فكر ومشاعر، فهي أيضًا لغة معرفة.<sup>(٢)</sup>

---

(١) أنظر: المعرفة النقدية مدخل إلى نظرية المعرفة في الفلسفة. د/ رسول محمد رسول/ عمان /

دار الكندي للنشر والتوزيع / ٢٠٠١ ص: ٧٩

(٢) تتكون اللغة أساساً من أصوات فونيم *Phonem* تولدها حركات عضلية في جهاز الإنسان الصوتي وتتركها حاسة السمع، الجمع بين تلك الحركات وإعطاء الأصوات بعض الدلالات، مرجعيتها للحقائق النفسية والحياتية عند الإنسان، كما تعود إلى العلاقة الدلالية بين الصوت في اللفظة وبين معناها في السياق، ولذلك يستفاد من علم الأصوات وعلم اللغة لبيان هذه الحقائق، إضافة إلى الدلالة الإيقاعية للصوت وعلاقتها بمعنى اللفظة التي تساهم في التعرف إما عن "مقاصد الشاعر أو عن مضامين النص الأدبي، يقول الجاحظ في الصوت؛ "والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، و به يوجد التأليف". (أنظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ "البيان والتبيين" مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٥، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٤،

٧٩ :١)



بذلك حظي الشعر منذ فجر التاريخ باهتمام الفلاسفة والنقاد، باحثين في طبيعته ووظيفته، مما جعل له دور له أهمية في سجل الحضارات الإنسانية، و رصد أمجادها، حتى أصبح الشعر روح الشعوب والعصور، فهو يسجل أحداثا لعبت دورا هاما في منح كل عصر هويته التي تميزه عن غيره من العصور الأخرى، ويرصد الفضائل والأخلاق وتهذيب السلوك الإنساني، لذلك أصبح الشعر جملة علوم ومعارف، إضافة إلى طبيعته الشعرية. ولعل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عني بكون الشعر علم، وفي ذلك يقول: "تحفظوا الأشعار، وطالعوا الأخبار؛ فإن الشعر يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويعلم محاسن الأعمال، ويبعث على جميل الأفعال، ويفتق الفطنة، ويشد القرينة، وينهي عن الأخلاق الدنيئة، ويزجر عن مواقعه الريب، ويحض على معالي الرتب". (١)

إن أوجه المعرفة التي تستبطنها لغة الشعر تتميز بإيجاد روابط بين قوى الإدراك الحسي والعقلي للإنسان، وبين الأشياء في الكون المحيط به، ذلك أن " الكون شبكة من الظواهر، وإن علاقة الإنسان بتلك الظواهر تنبني على التبصر والإدراك. ومن هذه العلاقة ينشأ مبدأ الدلالة، والدلالة في ذاتها ظاهرة حركية فيها فعل الإدلاء بالدلالة، وفيها فاعل ذلك الفعل، وفيها متلقيه، ... وجملة هذه الأصناف في الكون ثلاثة: الدلالة الطبيعية، والدلالة المنطقية، ثم الدلالة الاصطلاحية، وهي الدلالة العرفية، وفيها لا يتسنى للعقل البشري من تلقاء مكوناته الفطرية ولا الثقافية أن يهتدي إلى إدراك فعل الدلالة إلا إذا ألم سلفاً بمفاتيح الربط بين ما هو دال وما هو مدلول.... " (٢)

(١) المظفر بن فضل العلوي "ضرة الإغريض في نصرة القريض" تحقيق نهى عارف الحسن،

مطبعة طربين، دمشق، ١٩٧٦، ص ٣٥٦

(٢) د/ عبد السلام المسدي، الأديب والخطاب النقدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤،

ص ١٥٨.

إن تزاوج الثقافات والحضارات هو نتيجة الانفتاح والتواصل الإنساني، حيث لا يمكن للمرء أن يعيش بمعزل عن الثقافة الكونية التي تؤكد توافق الثقافات في استيعابها أن لكل ظاهرة كونية جذور متشعبة الأبعاد المعرفية، يمكن استثمارها. وحيث أن "ما تهدف إليه الاستومولوجيا (Epistemology) هو أن تكون ضمن صورة العلاقة بين الفلسفة والعلم البديل عن نظرية المعرفة، ... ، فهي تفكير نقدي حول كل العلوم والمعارف والفلسفات والفنون في نشأتها وتطورها والعلاقات المتداخلة بين نظريات وقضايا ومسائل ومفاهيم هذه العلوم والمعارف والفلسفات والفنون وبذلك فهي ليست العلم ولا الفلسفة ولا علم المناهج أو نظرية المعرفة. لكنها كل ذلك من زاوية ما" (رسول، ٢٠٠١، ١٥) هذه الحقيقة تجيز إمكانية توظيف الاستومولوجيا والنظريات العلمية التي تثبت حتمية الترابط المتوازن بين الأشياء في هذا الوجود وعلاقة الإنسان بها من حيث التفاعل معها بمدركاته وحواسه. "وإذا كانت العلوم الطبيعية لها أدلتها في ملاحظة الأشياء؛ كالموضوعات الفيزيائية، فالعلوم الإنسانية لها أدلتها [أيضاً] في فهم التعبيرات، ذلك أن الفيزياء علم يتكون من موضوعات تكمن فيها السببية والتشابه والاختلاف، والعلوم الإنسانية الواقعة فيها عمليات معينة داخل عالم الخبرة العادية تتبع من حياة عقلية، حقيقة لا تعرف عن طرق الاستدلال بل تُترك، والرابط بين المنهجين هو أن الفهم والإدراك يتحقق بتوظيف التشابه والاختلاف والخبرة والحياة العقلية التي تتفاعل مع الواقع الإنساني فنحن نقرأ المعنى في نص مكتوب، "نفهمه" أكثر من أن "نفسره". هناك إذن علاقة تقارب بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية يمكن أن تستثمر" (بوزيد، ٢٠٠٨، ٩٧) في قراءة الفكر الإنساني وما ينتج عن عملية التأثر والتأثير مع الآخر.

إن هذا القانون الكوني الذي نعيشه يؤكد أن كل شيء مرتبط برابط يجذبه إلى الآخر وفق قانون معين أو معيار يركز عليه، ويعمل على انتظام حركية الأشياء في هذا الكون. وقياساً على هذا المفهوم العلمي يمكننا إثبات نظرية الترابط المعرفي عبر أوجه مختلفة للتواصل بين الشعوب، و من ثم توظيف المعطيات الكونية في التشكيل

الفعلي لحضارتها، هذه المعطيات قد تكون الأشياء المحيطة بالإنسان، وقد تكون ناتجة عن فعل الإنسان، واستثماره لإمكانات طبيعة اللغة، ومخزونها المعرفي في إبداعه الشعري الذي يصبح له دوره الفاعل في التواصل الإنساني، والتشكيل الحضاري. وقياساً على فالتواصل بين المجتمعات الإنسانية، والتلاحق المعرفي، وما ينتج عنه من تقارب واندماج بين الشعوب وحضاراتها، هو من سنن الله جلّ وعلا في كونه.<sup>(١)</sup>

---

(١) "تستند قوانين الفيزياء في الكون إلى أربعة مفاهيم للقوة وهي قوة الجاذبية" و "القوة الكهرومغناطيسية" و "القوة النووية العظمى" و "القوة النووية الصغرى" أو "القوة الضعيفة". والتناسب والانتظام الموجود بين هذه القوى الأربع هو الذي حدّد شكل الكون الحالي ووجوده ومدى ملاءمته لوجود الحياة فيه. وأهم هذه القوى المؤثرة على الكون تأثيراً مباشراً هي قوة الجاذبية. وأثبت نيوتن أنّ هذه القوة لا تؤثر على ثمار اللّقاح في أشجارها أثناء سقوطها فقط بل إنّ هذه القوة هي سبب حركة الكواكب في مدارات معينة لا تحيد عنها. (أنظر: هارون يحي، سلسلة المعجزات، اسطانبول، ٢٠٠٣، ص ٣٣- ٣٤)

## المصادر والمراجع

- ١- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الثقافة، ١٤٠١.
- ٢- ابن سينا، كتاب الشفاء- العبارة- ص ٤ القاهرة، ١٩٧٠
- ٣- أبو الوليد ابن رشد " تلخيص كتاب النفس" تحقيق وتعليق ألفرد. د. ل. عيدي، مراجعة محسن مهدي، القاهرة، ١٩٩٤،
- ٤- أبو العباس شمس الدين البيهقي، ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد، تاريخ حكماء الإسلام، تقديم وتحقيق ممدوح محسن مهدي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٧ هـ
- ٥- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ "البيان والتبيين" مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٥، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٤
- ٦- أحمد الوردي، قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن ٧ هـ، دار الغرب الإسلامي، هـ ١٤٢٤، ط ١، ج ٢
- ٧- أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ت)
- ٨- البصري، عبد الجبار داود، مكانة الفارابي في تاريخ نظرية المحاكاة في الشعر، ضمن كتاب الفارابي والحضارة الإنسانية، بغداد مطابع الحرية، ١٩٧٥
- ٩- ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، القاهرة، الهيئة المصرية العام للكتاب، ١٩٨٤ م
- ١٠- المظفر بن فضل العلوي "نصرة الإغريض في نصرة القريض" تحقيق نهى عارف الحسن، مطبعة طربين، دمشق، ١٩٧٦ م
- ١١- بندلي جوزي، اصطلاحات يونانية في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، أكتوبر/ ١٩٣٦، ٣/ ٣٢٠
- ١٢- بو مدين بوزيد ، الفهم والنص، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط ١، ٢٠٠٨ م
- ١٣- حسين الحاج حسين، حضارة العرب في العصر العباسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٤

١٤- خضر محمد عبد الرحمن الشيباني، الفيزياء للأدباء، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ ، ط١

١٥- ديمتري غوتاس، ترجمة وتقديم د/ نقولا زياد، الفكر اليوناني والثقافة العربية: حركة الترجمة لليونانية - العربية في بغداد والمجتمع العباسي المبكر، القرن الثاني - القرن الرابع ، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١ ٢٠٠٣

١٦- د/ رسول محمد رسول، المعرفة النقدية مدخل إلى نظرية المعرفة في الفلسفة. / عمان / دار الكندي للنشر والتوزيع/ ٢٠٠١

١٧- طه حسين "من تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني (القرن الرابع)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١، ٤٣٧/٣ .

١٨- عبد السلام المسدي، الأدب والخطاب النقدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤ .  
١٩- عبد العزيز عبد الحميد جيدة، التخيل والمحاكاة في التراث الفلسفي والبلاغي، طرابلس ، دار الشمال ، ١٩٨٤

٢٠- د/ على عبد الواحد وافي، انظر الأدب اليوناني القديم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

٢١- غنيمي هلال، الأدب المقارن

٢٢- فيرنرب فريدريك، ديفيد هنري مالون، ترجمة عبد الحكيم حسان حدود الأدب المقارن، ، ٢٠٠٢

٢٣- ماجد فخري، مختصر تاريخ الفلسفة العربية، بيروت دار الشورى، ط١، ١٩٨١

٢٤- مايكل هاميلتون مورجان، تاريخ ضائع، التراث الخالد لعلماء الإسلام ومفكره وفنائه ترجمة أميرة نبيه بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣ ، ٢٠٠٨،

٢٥- محمد عمارة، التراث في ضوء العقل، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٨٤

٢٦- محمد فتحي عبد الله، مترجموا وشرّاح أرسطو عبر العصور، الإسكندرية، دار الوفاء، (د.ت)

٢٧- محمد مفتاح، "مشكلة المفاهيم: النقد المعرفي و المتأقفة" المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١ ٢٠٠٠

٢٨- محمود أحمد السيد، التراث بين الماضي الحي والحد المنشود، العرب: مجلة تعني بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ج٩ و١٠، ١٤٣١

- ٢٩- مصطفى الجوزو، نظريات الشعر عند العرب، (الجاهلية والعصور الإسلامية)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.
- ٣٠- هارون يحيى، سلسلة المعجزات، اسطنبول، ٢٠٠٣.

### English Sources

- 1- Adams, Hazard, ed, Critical Theory Since Plato, Harcourt Brace Jovanovich, New York 1971
- 2- Albert B: Lord, The Singer of Tales, A litenum, New York, 1978.
- 3- Bloom, The Anxiety of Influence: A Theory of Poetry, Oxford:, Harold, Oxford University press, 1973 .
- 4- Edinburgh: Edinburgh University Press, 1975
- 5- Faris , Nabil Amin, "The Arab Heritage," Encyclopedia of Islam, 4 vols, Leyden: E. J. Brill, 1913 – 1934. New York: Russell and Russell, 1963.
- 6- Gibb, Hamilton A. R. "The Influence of Islamic Culture on Medieval Europe." Bulletin of the John Rylands Library, 38: 82 – 98, 1955.
- 7- Klein, Ernest, ed, A comprehensive Etymological Dictionary of the English Language, Elsevier publishing, New York, 1967.
- 8- Landau, Rom, Arab Contribution to Civilizations. San Fransisco: The American academy of Asian studies, 1958.
- 9- ----- , Islam and the Arabs, Macmillan Co., New York. 1957.
- 10- Lasater, Alice E. Spain to England: A Comparative Study of Arabic, European, and English Literture of the Middle Ages, Jackson: University press of Mississippi, 1974.
- 11- Magill, Frank N, ed, Masterplots, 2, 1010 Plot Stories & Essay Reviews From the world's Fine Literature, Salem Press New Jersey, 6<sup>th</sup>, edition, 1976.
- 12- Menocal, Maria, Rosa, The Arabic Role in Medieval Literary History: A forgotten Heritage. Philadelphia University of Pennsylvania Press, 1987.
- 13- Northrop Frye, Sheridan Baker, George Perkins, The Harper Hand Book To Literature, Harper & Row, Publishers, New York, 1985.

14- Norman, Daniel, Islam and the West: The Making of an Image,  
Edinburgh: Edinburgh University Press, 1960

15- ----- , The Arabs and Mediaeval Europe, Longman, London,  
1875.-----, The Cultural Barrier: Problems in the Exchange of  
Ideas,

17- Peters, F.E, Aristotle and the Arabs: The Aristotelian Tradition in Islam  
University Press, New York, 1968.

18- Sikes, E. E, The Greek View Of Poetry, Methuen, London, 1931.

\* \* \*